مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 08/ العدد: 02 مارس (2022) - ص 125- 137

تعليمية البلاغة وأبعادها المعرفية و المهارية والوجدانية

Teaching Rhetoric and its Cognitive ,skilled and emotional dimensions

هنية مايدي
han.maidi@lagh-univ.dz
مخبر التداولية وتحليل الخطاب جامعة عمار ثليجي (الأغواط)/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2022/03/10 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص البحث

نتناول في هذه الدراسة جوانب تعليمية تخص الدرس البلاغي،نركز فيها على الأبعاد المعرفية والوجدانية والمهارية في تدريس البلاغة في ظل المنحى الوظيفي التواصلي الذي يسعى إلى استثمار مكتسبات المتعلم وبناء تعلماته من خلال تسخير الأنشطة الشفهية والكتابية واعتماد الطرائق الفعالة والنشطة التي تركز على محورية المتعلم .ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى الكلام عن كيفية استثمار تدريس البلاغة في ضوء النصوص لبناء كفاية تواصلية.

وخلصنا في هذا البحث إلى أن التعليم الوظيفي للبلاغة يقتضي تدريب المتعلمين على مهارات وقدرات يستطيع من خلالها مجابهة مواقف التواصل المختلفة .بالإضافة إلى ذلك رأينا أنه من الضروري التوازن في تعليم اللغة بين الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية.

الكلمات المفتاحية : تدريس ;البلاغة ;الكفاية ; التذوق

ABSTRACT:

In this study, we discuss educational aspects related to the rhetorical lesson, in which we focus on the cognitive, emotional and skill dimensions of rhetoric, in light of the communicative career approach that seeks to invest the learner with his gains and build his learning through the use of oral and written activities. Moreover, we aim through this study to talk about how to invest the teaching of rhetoric in the light of texts to build communicative competence. In this research, we concluded that the functional education of rhetoric requires training learners in skills and abilities through which they can confront different communication situations. In addition, we saw that it is necessary to balance in language teaching between the cognitive, emotional and skill aspects.

Keywords : education ; rhetoric ; competence; tasting

1. مقدمة:

يأخذ اكتساب المهارات و الكفايات منحى تدرجيا يبدأ بأبسطها المتمثل في الجانب الميكانيزمي ليصل إلى الجوانب العقلية الواعية، في أثناء ذلك تتداخل المهارات اللغوية والوجدانية والعقلية وتصقل من خلال النصوص التعليمية و الأنشطة اللغوية والتدريبات العملية .

ضمن هذا التصور تحرص المقاربة التواصلية على جعل مكتسبات التعليم محل استخدام وتطبيق فتغدو عملية اكتساب اللغة وتعلمها نتاج مجموعة من التدريبات والممارسات في مواقف تعليمية تسخر لها منظومة متكاملة شاملة تشمل صياغة واضحة للأهداف واختياراً مناسباً للمحتويات وانتقاء فعالا للطرائق والاستراتيجيات.

سنقتصر في هذه الدراسة على الحديث عن اكتساب المهارات الذوقية في ظل هذه المكونات التي ذكرناها ولمقاربة هذا الموضوع طرحنا السؤال الآتي : ماهي المهارات المطلوبة في اكتساب متوازن متكامل للغة ؟ وفيما تتمثل أهمية المهارات الذوقية في تعليم اللغة؟.

وتروم هذه الدراسة من خلال عناصرها استثمار الدرس البلاغي الاستثمار الصحيح الذي يسهم في بناء كفاية المتعلم التواصلية، وقد خلصت إلى ضرورة تكييف دروس البلاغة على النحو الذي يعيد دورها المركزي في تعليم اللغة .

2.تعلم مهارات اللغة وقواعدها:

لقد كان تعلم اللغة يركز على التزود بمجموعة من الحقائق والأحكام عن اللغة ، وانصب الاهتمام على حفظ المتعلم للمفردات اللغوية والقواعد النحوية والمصطلحات البلاغية.ونظرا للتطور الحاصل في النظريات التربوية والنفسية وظهور المنحى الوظيفي التواصلي تغيرت النظرة إلى تعلم اللغة فأصبح ينظر لها باعتبارها ممارسة فعلية تحتاج إلى إشراف وتوجيه لتصبح مهارة ،ترتبط مع مجالات التعليم الأخرى لاسيّما القيم والاتجاهات.

يرمي الاتجاه الحديث في تعليم اللغة إلى التمهير لا إلى التحفيظ والتسميع، وبالتالي لابد من توفر الممارسة و الدربة في مواقف حيوية طبيعية تضمنها البيئة التعليمية ، وإذا كان تعليم اللغة يرمي إلى إكساب المتعلم المهارات اللغوية (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة) فإن ذلك يقتضي الاهتمام بجميع مهاراتها بشكل متوازن ووضعها موضع الممارسة الفعلية، معنى ذلك أن المدخل الوظيفي التواصلي يهتم باستخدام اللغة واستثمار أنظمتها المختلفة ولا يكتفي بالتراكم المعرفي للمعلومات .

يكتسب المتعلم أيضا قواعد اللغة (الصوتية ، والتركيبية) وهذه العناصر هي المادة الحقيقية التي تعين المتعلم على اكتساب مهارات اللغة وتعلمها ، فمعلم اللغة ينطلق من تمكين المتعلمين في

المراحل الأولى من المهارات الإنتاجية ليفتح المجال بعدها للقواعد النحوية والصرفية وبشكل صريح ومحدد في حصص مستقلة،يتم توظيف هذه القواعد بشكل تدرجي لتحسين ممارسة مهارات اللغة، وبموجب هذا الاتجاه ينظر إلى مهارات اللغة ومستوياتها نظرة متوازنة دون التفريط في عنصر أو آخر ، والرسم البياني التالي يوضح ذلك :

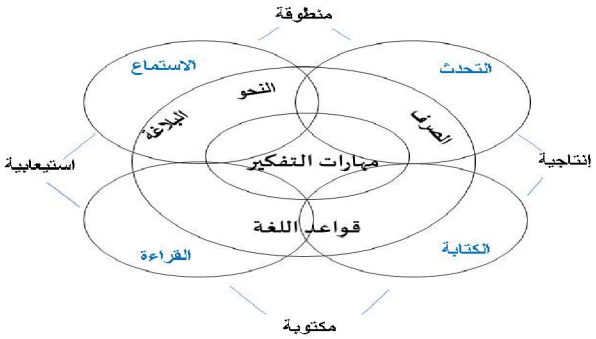

الرسم البياني 1: مهارات اللغة وعناصرها

من خلال الرسم نلاحظ تتداخل عملية اكتساب المهارات والقواعد اللغوية التي تشمل النحو والصرف والبلاغة ،وفي أثناء ذلك يعزز المتعلم قدراته العقلية كالفهم والتحليل والإدراك ، وبدونها تصير العملية آلية لا تعين صاحبها على حسن التصرف في المواقف التواصلية .

فمهارة الاستماع على سبيل المثال تتمثل في إدراك هدف المتحدث وإدراك معاني الكلمات وفهم العلاقات فيما بينها واستنتاج ما يود المتحدث قوله وما يهدف إليه ." أما مهارة التحدث التي هي مهارة تفاعلية تحتاج إلى قدرة على التخطيط والمواجهة والإقناع وسوق الأدلة وتقبل الآراء عبر الحوار والمناقشة تسهم هذه القدرات والمهارات في إنشاء حديث صحيح مقبول" [1]، يفي بمتطلبات السياق الاجتماعي واللغوي، وهكذا تتضافر المهارات العقلية واللغوية والوجدانية في إطار ما يسمى التكاملية في تعليم اللغة ، ويكون النص فيها نقطة الانطلاق وتدور في فلكه أنشطة اللغة ، يعمد فيه المتعلم إلى كشف معطيات النص ومناقشتها ، ويتدرب بذلك على المهارات الشفهية والكتابية ويعزز قدرته على الفهم والتحليل كما يتم من خلال النص تنمية حاسته الذوقية للجوانب الأدبية ، وهذا ما يسوقنا إلى الحديث عن الجانب الوجداني في تعليم اللغة وهو الجانب الذي يغفله الكثير رغم أهميته .

2. الأهداف الوجدانية في تعليم اللغة :

إنّ المجال الوجداني يتضمن الأهداف التي تصف التغيرات الحاصلة في اهتمامات التلميذ ومواقفه ، وفي القيم التي يكتسبها ،كما يتضمن نمو الإحساس بقيمة الأشياء واتساع الإدراك عند الملاحظة، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى التقدم في إصدار الأحكام وفي القدرة على التكيف مع المواقف[2].

تعد الأهداف الوجدانية وتنمية الاهتمامات والدوافع من المقومات الأساسية والضرورية لنمو المهارات الإنتاجية التي تساعد على تنمية قدرات المتعلم التراكمية (المعجمية والنحوية والأسلوبية) كما تؤهله لاكتساب السليقة اللغوية المتكاملة)[3].وفي هذا السياق نؤكد على ضرورة إدراك المتعلم أن اللغة العربية لغة ذوق وتواصل وعلم وثقافة. وعليه لابد من التركيز على المهارات الذوقية أثناء دراسة الظواهر الأدبية .

ضمن هذا تندرج تعليمية البلاغة والنقد والأدب وما يترتب عليها من ذوق أدبي يمتد مع التعليم على طول فترات الدراسة ،ولا يتوقف غرسه على معرفة القواعد التعليمية والمصطلحات وكثرة التفصيلات الجافة والتعليلات المنطقية ،بل تحتاج إلى استشعار المتعلم مواطن الجمال وجمال العبارة والأسلوب . وهذا ما يدعونا إلى التركيز على التربية الجمالية التي عن طريقها يتهذب الذوق ويصقل الوجدان، ويلقى على عاتق المؤسسة التعليمية استثمار الطرائق النشطة والمحتويات المناسبة والأنشطة الصفية واللاصفية في ترسيخ الحس الجمالي للمتعلم،

ولاشك أن التقصير في تنمية الجوانب الوجدانية الذوقية لدى المتعلم لن يحقق التقدم المنشود في اكتساب المعارف والمهارات والخبرات ، ولا يحصل إزاء ذلك التغيير المأمول من العملية التعليمية .

3. أهمية الدرس البلاغي وأبعاده الوجدانية والمعرفية والمهارية :

يقول (عبد الرحمن الحاج صالح) (إذا ما اكتفينا في تعليم العربية بجانب السلامة اللغوية ، أو بجعل الطالب قادرا على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب ، أي دون القواعد البلاغية كان تعليمنا هذا ناقصا وتجاهلنا بذلك أن الملكة اللغوية بكاملها وفي جملتها هي مهارة التصرف في بنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث،أي القدرة على التبليغ الفعال بما تواضع عليه أهل اللغة أو بعبارة أخرى أيضا القدرة على الاتصال اللغوي في جميع الأحوال بما يقتضيه الوضع اللغوي)[4] .

في هذه العبارة إشارة إلى أهمية البلاغة التي لا تقتصر على مجرد تنميق الخطاب وزخرفته كما يظنها الكثير بل هي مجال على درجة من الأهمية يُسهم في تذليل صعاب العملية التواصلية وذلك من خلال الاستعانة بآليات التخاطب المتنوعة مما تزخر به اللغة العربية من أساليب وأدوات وإمكانات ،وهي المسؤولة عن تنمية الذوق الفني للمتعلمين وتبيين نواحي الجمال في التعبير ، فضلا

عن دورها في التأثير والإقناع ،والتمكن من وسائل الإبداع ،وبذلك هي شاملة للجوانب الثلاثة التي يقتضيها التعليم (الجانب المعرفي والوجداني والمهاري) وفيما يلي تفصيل ذلك :

1.3. البعد المعرفي في تعليم البلاغة :

يرى (سمك) أنّ البلاغة تعين على تبصير الطلبة بأنواع الأساليب المختلفة وكيف تؤدي الفكرة الواحدة بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عن طريق الحقيقة والمجاز ، وكيف يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال [5]، فضلا عن ذلك يعين الدرس البلاغي على :

- التعرف على مفاهيم وحدود الفنون البلاغية .
- ربط القواعد النحوية بالقواعد البلاغية فهما وضبطا وتطبيقا في ظل المنحى الوظيفي.
- تنمية الثروة اللفظية والفكرية وتطوير الملكات التعبيرية .

2.3 .البعد المهاري في تعليم البلاغة:

يتمثل في تمكين المتعلمين من استخدام اللغة استخداما يعينهم على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم ونقلها إلى القارئ أو السامع بسهولة ويسر ، ويستطيع أيضا إدراكها وتمثلها تمثلا كاملا، فضلا عن ذلك تُمكن البلاغة المتعلم من إنتاج نصوص شفوية وكتابية بالاستعانة بالقدرات التراكمية وصقل مواهبه عن طريق الممارسة والتدرب واستثارة أذهانهم ونفسيتهم ،وبفضل البلاغة تقوى الملكة النقدية للمتعلم ويتدرب على الموازنة بين الآثار الأدبية والحكم الفني .

3.3. البعد الوجداني في تعليم البلاغة :

- بدراسة علوم البلاغة يكتسب المتعلم مهارات ذوقية بإدراك النواحي الجمالية في النصوص التي يسمعونها ويقرأونها ، كما تساعدهم على الإجادة فيما يتحدثون من كلمات وما يكتبونه من رسائل وموضوعات تعبيرية.
- تسهم البلاغة في تنمية الميول القرائية وإثارة الدافعية لتعلم اللغة العربية .
- السمو بالإحساس والوجدان من خلال الوقوف على ما في الأساليب من روائع الكلام .
- إدراك ما في النصوص الأدبية من جمال الفكرة وجمال الأسلوب إدراكا يقوم على فهمها وتحليلها وتفصيل عناصرها واستشعار تأثيرها وتذوق جمالها .
- تنمية التفكير الإبداعي والنقدي
- "بناء شخصية تتمتع بالقدرة على التخيل واستقراء النتائج التي يمكن أن تترتب على اتخاذ قرار معين.

- استمتاع الناشئة بألوان الأدب المختلفة من القصة والمقالة والتمثيلية وغيرها عن طريق إدراك ما فيها من جمال وتنمية ميلهم إلى القراءة الحرة والواسعة " [6] .

4. البلاغة والمهارات الذوقية:

يقول (ابن خلدون) في هذا الصدد (اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ومعناه حصول ملكة البلاغة للسان [...]وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك ، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك ، على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده)[7]

ومعنى ذلك أن الذوق ملكة وجدانية ندرك بها أسرار الجمال في التراكيب اللغوية والنصوص لا في المفردة فحسب ، ونتوصل إلى مواطن تميزها فنيا وجماليا وهذه الملكة تكتسب بالدربة والمران وتذوق النصوص الأدبية في هذا الصدد يشير ابن خلدون في كتابه المقدمة إلى مجموعة من الملكات الرئيسة مثل ملكة الحفظ وملكة الفهم وملكة الذوق ،وتصقل هذه الملكات باللغة والبيان والبلاغة وعلوم الآداب حفظا وفهما ومن هنا لابد أن تترسخ الملكات في نفوس المتعلمين بالمران والدربة والممارسة حتى تترسخ في نفوسهم وتصبح طبعا وسليقة، كما ورد في مقدمته (وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم... وإنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب)[8] .

لم يكن (ابن خلدون) أول من تحدث عن الذوق بل سبقه كثير من البلاغيين والنقاد كابن سلام والجاحظ وابن طباطبا، والجرجاني الذي أشار إلى تحكيم الذوق والإحساس في قوله " واعلم أنه لا يُصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولايجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تُحّدثه نفسه بأنّ لما يُومئ إليه من الحسن واللطف أصلاً ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجد الأريحية تارة ويَعرى منها أخرى، و حتّى إذا عجّبته عجِب ، وإذا نبّهته لموضع المزية انتبه"[9]

جاء في معجم المصطلحات التربوية والنفسية تعريفٌ لمهارات التذوق الأدبي بوصفها (قدرة المتعلم على تناول النص الأدبي بالتدقيق والتحليل من خلال إدراك نواحي الجمال ودقة المعاني وفهم التراكيب ودلالتها وتحديد قيمة الصور البيانية والتفطن إلى العبارات المبتكرة والتحليل الأسلوبي للنص، ونقد عناصر التجربة وإقداره على إصدار الأحكام على النص[10] . وكما هو واضح من التعريف أن مهارة التذوق تندرج ضمنها مهارات أخرى ،ذُكرت في كتب البلاغة بصور عديدة نذكر منها ما تم اختصاره في المهارات التالية :

- مهارة تحديد التحليل الأدبي

- مهارة تحديد الصورة الفنية وتفسيرها
- مهارة تحديد مواطن الجمال
- مهارة تفسير القيم والاتجاهات [11] .

وهي في عمومها أنشطة يقوم بها المتلقي استجابةً لنص أدبي معين بعد تركيز انتباهه عليه ،وتفاعله معه عقليا ووجدانيا ومن ثم يستطيع تقديره والحكم عليه، ولايتأتى ذلك إلا بمناقشة النصوص الأدبية مناقشة تذوقية تُعنى بما في النص من قيم وما لدى الكاتب من إبداع .

5. البلاغة والتواصل :

يقتضي هذا العنصر طرح السؤال التالي : ما الذي يمكن أن تضيفه البلاغة في عملية التواصل ؟وهل يقف تدريس البلاغة على تنمية المهارات الذوقية فحسب ؟

نذهب للإجابة عن هذا السؤال مذهب الحاج صالح حينما قال (إن البلاغة لا ينحصر استعمالها في التعبير الأدبي وليست تفننا ولاهي من الكماليات بالنسبة إلى الاتصال اللغوي بل هي العمدة في هذا الاتصال على اختلاف أنواعه وأشكاله سواء في المشافهة أو الكتابة ، نثرا كان أو شعرا في مقام انقباض أم مقام أنس ، ففي هذه المستويات البلاغة موجودة لأن المعبر يتحتم عليه أن يختار العبارة التي تناسب المقام وتستجيب لحال الحديث ولو استرسالا وبدون تأمل) [12].

وإذا كانت الغاية من تعليم اللغة تمكين المتعلمين من موقف التواصل فيجب التأكيد على أنه ليس المقصود بالتواصل مجرد الاستخدام الآلي لرموز اللغة إنتاجا وتلقيا إنما التواصل الجيد يقتضي الوعي الكامل بمقتضيات الموقف الخطابي وطبيعة المتخاطبين وما يستخدمونه من أبنية لغوية مناسبة للموقف والسياق وما يصاحبها مع مساعدات الكلام(كالإشارات والإيماءات والحركات) ، لذا يمكن القول إن للبلاغة الدور الكبير في إزاحة الكثير من الغموض في مواقف التواصل،لأجل هذا يمكن وصفها بأنها العمدة في أي عملية تواصلية .

ويمكننا توضيح الصلة بين البلاغة والمنحى التواصلي فيما يظهر من بنية شكلية لمفهوم البلاغة في حد ذاته فهي تدل على البلوغ والوصول أي إيصال معنى الخطاب إلى المتلقي ، إذن تشترك البلاغة مع التواصل في تأدية وظيفة ومعنى من خلال بنية صحيحة وفصيحة. وفي هذا يقول الرماني في تعريفه للبلاغة (إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ) [13].

ويمكننا فهم العلاقة بين البلاغة والتواصل من خلال المفاهيم التي تدور في فلكهما، "فإذا كانت البلاغة تعالج قوة التأثير في الآخر وكيفية إقناعه وبيان المقاصد التي يهدف المرسل إلى تحقيقها ، فإن الاتصال مَعني بدراسة العلاقات بين مكونات هذه العملية ، أي أن فكرة التوجه إلى المخاطب والتي تنبثق من فهم الخطاب توضح الكثير من نقاط التلاقي بينهما". [14] .

كما أن الموقف العام للاتصال يماثل مفهوم مقتضى الحال حيث يتطلب كلاهما تحديد من يقول ؟ وماذا؟ ولمن ؟وما تأثير ما يقال ؟ و في أي ظرف؟و لأي هدف؟، وقد كان مفهوم مقتضى الحال محل اهتمام الدراسيين القدماء وعلماء الغرب كما سنوضح فيما يلي:

ورد في مقدمة ابن خلدون (إن اللغات ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها ، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهو معنى البلاغة[15] . ، ينسجم هذا الرأي مع ماطرحه (هايمز) كما سنرى في مبحث آخر حينما نتحدث في سياق نظرية لغوية اجتماعية عامة عن مصطلح كفاية تواصلية تراعي كما أشار ابن خلدون مقتضيات أخرى غير القواعد اللغوية ، كمقتضى الحال وإفادة السامع تلك العناصر التي تخص أحوال الخطاب في ميادين الحياة اليومية ،فالقدرة على استعمال اللغة في الاتصال يتم من خلال مراعاة مقتضى الحال والقرائن للتعبير عن المقاصد والأغراض .

وفي السياق نفسه جاء في كتاب الإيضاح (أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته)[16]، وورد في كتاب التعريفات (البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال)[17].

واستنادا إلى ما سبق يعد مفهوم المقام أهم ماعالجه البلاغيون ضمن مبادئ التواصل اللغوي وشروطه وهذا ما يتفق مع ما توصل إليه رواد اللسانيات الاجتماعية من ضرورة التركيز على العناصر غير اللسانية الحاضرة في ذهن المتعلمين ،كما سنرى في المبحث الآتي وقد شكل ذلك سببا رئيسا في تغيير مسار مفهوم الكفاية كما سنرى في السياق الآتي .

6. البلاغة ومفهوم الكفاية التواصلية:

رأينا فيما سبق أن النجاعة التبليغية تتحق من خلال التأثير في المتلقي بالنظر إلى أصول الكلام ومطابقة مقتضى الحال وهو ما اصطلح عليه علماء المعاني بالمقام أو الحال، ويعني جملة الاعتبارات والعناصر النفسية والاجتماعية والثقافية التي تشكل في مجموعها الظروف العامة التي يحدث فيها التواصل ،

و في عملية التعليم لا نستهدف تنمية وتطوير القدرات اللسانية للمتعلم حسب ، بل نتعداها إلى قدرات اجتماعية وثقافية تشكل في مجملها كفاية تواصلية تمكنه من استعمال اللغة في مقامات تواصلية تراعي مقتضى الحال ، لأن متطلبات التعليم الجيد هو التمرن على مهارات التواصل الناجع الذي يتطلب مهارات اجتماعية ولغوية تمكن المتعلمين من توصيل الأفكار وتبادلها ، وإنتاج رسائل واضحة ومفهومة ومناسبة للمتلقي ، بهدف تطوير أنفسهم وبناء تعلماتهم بناءً ذاتيا .

وفي هذا السياق لابد من العودة إلى تعريف الرواد الأوائل لمفهوم الكفاية التواصلية ، ومن ذلك

ما ذكره (هايمز) بقوله :"معرفة المتكلم معرفة عملية تامة ، أو معرفة مهارية استعمالية للقواعد النفسية والاجتماعية والثقافية التي تخص استعمال الكلام في محيط اجتماعي لغوي معين "[18]. بمعنى أنها معرفة وتمرس بمجمل القواعد التداولية التي تمكن المتعلم من استعمال اللغة في طبقات مقامية مختلفة لأجل تحقيق أغراض تواصلية معينة.

يؤكد (ويدوسون)إن معرفة اللغة لا ينبغي حصرها في مفهوم الجمل والنطق بها وقراءتها وكتابتها بل تجاوز ذلك إلى معرفة استعمال هذه الجمل في مقاصد تواصلية ، فالمسألة تتعلق أساسا بضرورة اكتساب القدرة على فهم وإنتاج الجمل الصالحة لسياقات ومواقف تواصلية مختلفة .

وحسب (كنال وسوين) (ملكة التواصل هي الملكة التي يتم من خلالها التأليف بين معرفة المبادئ النحوية الأساسية ، ومعرفة كيف يستعمل اللغة في سياقات اجتماعية لانجاز وظائف تواصلية ومعرفة كيف يمكن تأليف بين الأقوال والوظائف التواصلية طبقا لمبادئ الخطاب)[19].

ومما سبق نخلص إلى القول إن الكفاية تعبر عن القدرة الظاهرة على استعمال اللغة للتعبير عن فكرة أو موقف أو شعور بأحسن صورة وأجود عبارة ، "وذلك بتوظيف كل ما يحمل على الإمتاع والإقناع ، أي حسن استعمال الأدوات والكلمات والتراكيب والأساليب والتحويلات وفقا لما يتطلبه الموقف الكلامي على خلفيات تداولية (نفسية ، اجتماعية ، سياسية ، ثقافية " [20] وتضطلع البلاغة بإمكانات واسعة وهامة لبناء الكفاية التواصلية للمتعلم ، فالدرس البلاغي شأنه شأن مكونات اللغة تهدف إلى إنماء الكفاية التواصلية والمنهجية والثقافية وتعميق القيم والاتجاهات والاهتمامات الوجدانية.

أفاد حقل تعليم اللغة من دراسات هايمز ومن نحا نحوه واعتبرت المادة التعليمية حقيقة اجتماعية تنبض بالحياة في سياقات استعمالها ، لا يمكن عزلها عن المخاطَبين والمخاطِبين ولاعن المواقف الكلامية والقواعد المتعارف عليها داخل المجتمع وهذا يستلزم تعليم اللغة انطلاقا من رصيد المجتمع الثقافي من المنظور الوظيفي.

وفي مناهج التعليم في الجزائر يغدو مفهوم الكفاية التواصلية الغاية البعيدة والقريبة لتعليمية اللغة كما ورد في دليل الأستاذ (وهو هدف شامل ، لأنه عند اكتساب المتعلم القدرة على التواصل والتبليغ، فإن هذه الكفاية تكون عامة وشاملة حيث تعكس التمكن من النظام اللغوي ، كما تعكس أيضا إمكانية تكييف هذا النظام مع مختلف أحوال ومواقف الخطابات) [21].

وفي سياق آخر ورد في الدليل (ومن هنا يجب التركيز على ما ينمي التوجهات المعرفية والوجدانية لأن اكتساب الكفاية يبدأ من من هذه المواقف المسهمة في تثبيتها نظرا لتداخل المجالين المعرفي والوجداني في الكفاية التواصلية ، فالمدرس لا يقدم الكثير من الدروس بل يضع المتعلم في وضعيات ترغمه على تحقيق المرمى وحل المشكلة واتخاذ القرار بتشغيل القدرات المعرفية والوجدانية والمنطقية للمتعلم [22].

7. البلاغة وتعليمية النصوص:

لا يقل تدريس البلاغة أهمية عن تدريس الأدب ، فالهدف من تدريس النصوص الأدبية هو تفاعل المتعلم مع النص وقدرته على قراءته بشكل واع يمكنه من بناء المعنى الخاص به ، هذا المعنى يعتمد على النص من جهة وعلى خلفية المتعلم وثقافته من جهة أخرى ، بحيث يتمكن المتعلم من توظيف خبراته السابقة في توليد معاني النص ودلالته وتهذيب الذائقة الأدبية بعيدا عن الحفظ والاستظهار اللذين غلبا على الطابع العام في التعليم .

ومن خلال النص الأدبي يتعرض المتعلم للمفاهيم النحوية والصرفية والبلاغية ، كما يتدرب على مهارات الحوار والمناقشة و إبداء الرأي ، وضمنيا يستخدم المتعلم أثناء دراسته وتفاعله مع النص عمليات تفكير كالتحليل والربط والتقويم والإبداع، وبذلك يتم التكامل بين القدرات والمهارات من خلال استنطاق النصوص الأدبية لتحقيق التعليم اللغوي المتكامل والسليم . الذي أصبحت البلاغة فيه مسؤولة عن تنمية المهارة الذوقية الفنية والقدرة على تحليل النصوص ونقدها ،

يحدد منهاج اللغة العربية في الجزائر الرؤية الجديدة للدرس البلاغي كونه وسيلة لا غاية فالمدرس لا يصل بالبلاغة إلى غايتها من تكوين الذوق الأدبي إلا إذا اتخذها وسيلة لبيان قيمة النصوص الأدبية وحظها من الفن [23]

تبعا لذلك من غير المعقول أن يُنظر إلى تدريس البلاغة بمعزل عن النص الأدبي ، وهذا هو المبرر العلمي الذي يجعل جدوى تقديم الدرس البلاغي تابعا لدرس النصوص الأدبية وبالتالي يكون درس البلاغة خير مساعد للمتعلم على فهم الأدب وتذوق معانيه وإدراك بعض خصائصه والوقوف على أسرار جماله [24].

فضلا عن ذلك إن تعرض المتعلم للنصوص وأنماطها المختلفة(السردية والوصفية والحجاجية والتفسيرية والإيعازية) وإدراكهم لمقوماتها يجعلهم يتثملون آليات اشتغالها وكيفية بنائها ، ومن خلالها يتدرب المتعلم على أن يصف ويسرد ويحاور ويفسر ويحاجج وغيرها من الوظائف التي تضطلع بها تلك النصوص وهي مقومات أساسية في أي خطاب يستعين به المتعلم في ممارسة اللغة شفويا وكتابيا .

إن الفائدة التعليمية التي يمكن أن يجنيها المتعلم من دراسته للأنماط المختلفة هي اكتسابه لكفاية نصية على المستوى القرائي والكتابي تندرج ضمن كفاية أكبر هي الكفاية التواصلية ، فضلا عن ذلك ينفتح المتعلم على مبادئ النقد وإبداء الرأي المستند إلى الدليل والبرهان ومن ثم ترسخ في أحكامه النزعة العقلانية في تقدير الأمور وتقييم الأعمال والحكم عليها ومما يعينه على ذلك دروس البلاغة .

فعلى سبيل المثال حينما يدرج النص الحجاجي في كتاب التلميذ لاسيما مرحلة الثانوي فإن ذلك يقرب المتعلمين من أسباب العقل في سياق بيداغوجي ، فيتعلم الناشئة كيفية الدفاع عن فكرة وكيفية استخدام الأدلة والشواهد وتنظيم كلامه ضمن خطاب لغوي مناسب ،يتشكل فيه رأيه النقدي ويتدرب بذلك على التفاوض والتحاور واحترام الرأي الآخر.

8. الجانب الإجرائي في تعليمية البلاغة:

ويمكننا قبل الحديث عن الجانب الإجرائي طرح الأسئلة التالية :هل حقق درس البلاغة الغاية المرجوة من تنمية الذوق الأدبي ؟ وهل أحسن المتعلم استعماله للغة بما يناسب مقتضيات الحال؟ وكيف السبيل إلى تحقيق ذلك ؟

الواقع يشير أن الإجابة على الأسئلة السابقة تكاد تكون أقرب للنفي منها إلى القبول لأن الطلبة في الغالب يعمدون إلى حفظ قواعد البلاغة دون أن تترك في نفوسهم أثرا فنيا أو إحساسا بالجمال التعبيري

وهم غالبا لا يستطيعون تمييز المرامي البعيدة للنصوص ، زيادة على عدم التمكن من ضبط انفعالاتهم وإصدار الأحكام بموضوعية.

واستنادا إلى هذا المعطى لابد من تجسيد مبادئ المقاربة الوظيفية والتواصلية التي تركز على الجانب الإنتاجي للمتعلم وجعله محور عملية التعليم من خلال فسح المجال لاستثمار قدراته العقلية ومهاراته الذوقية ويتم ذلك بالاعتماد على استراتيجيات التعلم الفعال الذي يرتكز على جهد المتعلم وحمله على التفاعل والتخيل والتقصي والتأمل والتحليل والربط والتقويم وتعويده على أن يكون أكثر فاعلية وتنظيما للأفكار ولذا يلقى على الأستاذ مسؤولية استثمار الاستراتيجيات النشطة وتثقيف الطالب وتوسيع الرؤى أمامه ، لينضج الذوق وتقوى الملكة وتعزز المهارة.

9. الخاتمة

اتساقا مع المعطيات النظرية لهذه الدراسة نخلص إلى فكرة مؤداها ضرورة الاهتمام بالجوانب الوجدانية في تعليم اللغة و التركيز أثناء تدريس البلاغة وأنشطة اللغة ككل على بناء كفاية المتعلم

التواصلية وهو الهدف الذي ينشده أي تعليم يروم تحقيق النجاعة ، وفيمايلي نسرد أهم النتائج والمقترحات :

- إن التركيز على الغاية الوجدانية التذوقية في تعليم البلاغة يكون دافعا للتدرب على الأساليب التعبيرية المختلفة، وفي هذا الشأن يكون التركيز على القاعدة والمصطلحات والتعريفات شيئا ثانويا مكملا .

- للبلاغة دورٌ مهم في بناء كفايات المتعلم التواصلية التي تنضوى تحتها كفايات أخرى، كالقدرة على الحجاج والتأثير والإقناع والاستدلال، ويقتضي ذلك تدريس البلاغة ضمن أنماط النصوص التي تتضح مؤشراتها وخصائصها .

- التركيز أثناء المعالجة الفكرية والفنية للنصوص على تنمية المهارات الإنتاجية للمتعلم تطبيقا لمقتضيات المقاربة الوظيفية .

- تدريس المحتوى البلاغي ضمن المقاربة النصية يفضي إلى تتبع الظواهر اللغوية الموجودة في النص الأدبي واستثمار ها في عملية الفهم والتذوق والإنتاج ويقتضى ذلك أن يكون الحديث هنا عن بلاغة نصية وليست جملية.

- ترسيخ فكرة مركزية المتعلم وتأهيل المتعلم للتدرب على تذوق الظاهرة الأدبية وتحليلها يحتاج اعتماد طرائق نشطة كحل المشكلات والعصف الذهني وطريقة البحث والاستكشاف وغيرها من الطرائق التي تعتمد على جهد المتعلم .

- تدريس البلاغة وفق نصوص مختلفة يقتضي تدريب التلميذ على وظائف مختلفة تشملها العملية التواصلية عموما كالحوار والتفسير والحجاج والإقناع.

- تأهيل المتعلم من خلال الدرس البلاغي إلى تنمية التفكير الإبداعي والناقد للمتعلم.

الهوامش:

[1]. الدليمي ،طه علي حسين ، والسعودي عاهد هاني ، (2017)، تدريس القراءة والبلاغة بالمهارات القرائية واستراتيجيات الدراما ، ط1،دار المناهج ، عمان ، الأردن، ص 42

[2]. بن بوشوك المصطفى عبد الله ، (2000)، تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها ، ط3، مطبعة النجاح ، الرباط ، المغرب ، ص 221

[3]. المرجع نفسه ص 328

[4]. الحاج صالح، عبد الرحمن ، (2007) ، الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ماقبل الجامعي ، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر ، الجزائر ،ص 184

[5]. سمك ، محمد صالح ، (1998)، فن التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العملية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص 803

[6]. مدكور، علي أحمد ، (2006)، تدريس فنون اللغة العربية ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص231 .

[7]. ابن خلدون، الكتاب الأول المقدمة ، (2007) تحقيق إبراهيم شبوح،ج2 ، تونس ، ص 505/504

[8]. المرجع نفسه ص 582

[9]. الجرجاني عبد القاهر، ،دلائل الإعجاز في علم المعاني، قرأه وعلق عليه محمود أحمد شاكر ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ، مصر ، ص 291.

[10]. شحاتة ،حسن ، والنجار زينب ، (2003) ، معجم المصطلحات التربوية والنفسية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر، ص87

[11]. الدليمي، طه علي حسين ،(2009) تدريس اللغة العربية ، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ، ص 203

[12]. الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ماقبل الجامعي ، مرجع سابق ،ص 184

[13]. الرماني، أبو الحسن ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، ط 3، دار المعارف ، مصر، ص 75،76

[14]. سليمان ، محمود جلال الدين،(2015) ، علم اللغة الاجتماعي وتطبيقاتها في تعليم العربية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، مصر ، ص 75

[15]. الكتاب الأول المقدمة ، ج2،مرجع سابق ، ص506 .

[16]. القزويني ، الخطيب ، (2003)، الإيضاح في علوم البلاغة ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 20.

[17]. الجرجاني ، علي بن محمد ، معجم التعريفات ، تحقيق محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، مصر، ص 43

[18] .Dell ,H , Hymes (1984), Vers la compétence de communication, Hatier ,crédif , Paris p125

[19]. تغزاوي ، يوسف ،(2015) ، استراتيجيات تدريس التواصل،ط1، عالم الكتب الحديث ، عمان، الأردن ، ص 55

[20]. عشير ،عبد السلام ، (2007)، الكفايات التواصلية اللغة وتقنيات التعبير والتواصل ، ط1، Top Edition، المغرب ،ص87

[21]. مغزي، أحمد ، سعيد وآخرون ، دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الثانية من التعليم المتوسط ، أوراس للنشر ، الجزائر ، ص 25.

[22]. المرجع نفسه ،ص 15

[23]. اللجنة الوطنية للمناهج ، (2006) ، منهاج السنة الأولى ثانوي ، الجزائر ،ص 23

[24]. المرجع نفسه ،ص 23.